﴿وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ عَادٗا كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّعَادٖ قَوۡمِ هُودٖ ٦٠﴾ [هود: 60]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

عـلاقـة عـذاب قـــوم عـــادٍ واستئصالهم بإتْباعِهِمُ اللَّعنة في الدُّنيا والآخرة

لمّا ذكر النَّظم الكريم عقابهم، وبيَّن أنَّهم اتَّبعوا الكفرة الجبّارين، والطُّغاة الآثمين؛ أتْبع ذلك ببيان أنَّ العذاب عنهم لم ينقطع، بل اتَّبعتهم اللَّعنة في الدُّنيا غيرَ منفكَّة عنهم، وكذلك في الآخرة سوف يلاقون تلك اللَّعنة، فيجازَوْن بالطَّرد الثّابت لهم من رحمة الله تعالى؛ لأنَّهم "جحدوا نعمة خالقهم عليهم، ولم يشكروها بالإيمان به وحده، فأصبحوا جديرين بطردهم من رحمة الله، وإنزال الهلاك الشَّديد بهم"[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَأُتۡبِعُواْ﴾: أصْلُ (تبع): التُّلُوُّ والقَفْوُ، يقال: تَبِعتُ فُلانًا؛ إذا تَلوتُهُ واتَّبَعْتُهُ، وأتْبَعْتُهُ؛ إذا لَحِقْتُهُ[2]، كأنَّما لَحِق أو التصق به وتَطَلَّبه مُتَّبعًا له[3]، وتَبِعتُ الرَّجُلَ؛ إذا مشيتَ مَعَه، واتَّبعته؛ إذا مشيتَ خَلفَه لتلحقه[4]. قال أبو عُبيد: ويُقال: أتْبَعْت القَوم؛ إذا كانوا قد سبقوك، فلحِقتهم، قالَ: واتَّبعتُهم؛ إذا مرّوا بكَ، فمضيت مَعَهم، وتبِعتهم تَبَعًا مثله[5]، وأتبع فلانٌ فلانًا؛ إذا تبعه يُريد بِهِ شرًّا، كما أتبع فِرْعَوْنُ موسَى، وأمّا التَّتبُّع؛ فأنْ يتتبَّع في مُهْلة شَيئًا بعد شَيْءٍ[6]، والمراد بالإتْباع في الآية: لَحِقَتْ بهم، وتوالَتْ عليهم.

(1) لجنة من علماء الأزهر، المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص: 318.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (تبع).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (تبع).
(4) ابن دريد، جمهرة اللغة: (تبع).
(5) الأزهري، تهذيب اللغة: (تبع).
(6) الخليل، العين، والأزهريّ، تهذيب اللّغة: (تبع).

2) ﴿لَعْنَةً﴾: أصلُ (لعن): يَدُلُّ على الطَّرْدِ والإبْعادِ، يُقال: لَعَنَهُ اللّه، أيْ: أبْعَدَهُ، وطَرَدَهُ عن الخَيْرِ[1]، واللَّعينُ: المُبْعَدُ المَنْبوذُ، واللِّعانُ: الدُّعاءُ بِاللَّعْنِ، وأمّا الذي يَصدُرُ من الخَلْقِ؛ فهو بِمعنى السَّبِّ والشَّتْمِ، فيُقال: لَعَنَهُ لَعْنًا، أيْ: سَبَّهُ[2]، ويأْتي اللَّعْنُ بِمعنى التَّعْذيبِ والإهْلاكِ، واللَّعْنَةُ: العَذابُ[3]. ومن مَعانيه أيضًا: المَسْخُ[4]، قال الشَّمّاخ:

ذَعَرْتُ بِهِ القَطا ونَفَيْتُ عَنْهُ *** مَقامَ الذِّئْبِ كالرَّجُلِ اللَّعينِ[5]

والملاعنة واللِّعان: المباهلة، والملعنة: قارعة الطَّريق، ومنزل النّاس، وفي الحديث: «اتَّقوا المَلاعِنَ»[6]، يعني عند الحدث، ورجل لُعَنَة: يلعن النّاس كثيرًا، ولُعَنة، بالتَّسكين: يلعنه النّاس[7]، والمقصود باللَّعنَةِ في الآية: الطَّردُ بإهانةٍ وتَحقيرٍ.

3) ﴿بُعْدًا﴾: أصلُ البُعْدِ: خِلافُ القُرْبِ، يُقال: بَعُد يَبْعُدُ بُعْدًا، ضِدَّ قَرُبَ يَقرُب قُربًا، وليس لهما حدٌّ محدود[8]، وتقول العرب: بُعدًا وسُحْقًا، مصروفًا عن وجهه، ووجهه: أبعده اللّه وأسحقه[9]، وبعُد يبعُد بُعْدًا، من قولهم: (أبعده اللّه)، فإذا أمرت؛ قلت: ابعد. قال الشّاعر[10]:

صبا ما صبا حَتَّى عَلا الشَّيْبُ رَأْسَهُ *** فَلَمّا عَلاهُ قالَ لِلْباطِلِ ابْعِدِ

والَّذي عَبَّرَ بِهِ الأقدمون أنَّ البُعْد بمعنَى الهلاكِ، ويُقال: إنَّ الذي بمعنَى الهلاكِ إنَّما هو البَعَد، ومَنْ جَوَّزَ الاشتراكَ فيهما أشار إلى أفصحيَّة الضَّمِّ في خِلافِ القُرْب، وأفصحيَّة الكسرِ في معنَى الهلاكِ[11]. والمقصود بالبُعْدِ في الآية: الإبعادُ والطرد عن رحمة اللّه بطريق العقوبة.

(1) الخليل، العين، والأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (لعن).
(2) ابن عبّاد، المحيط في اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (لعن).
(3) الخليل، العين، والأزهريّ، تهذيب اللّغة: (لعن).
(4) ابن منظور، لسان العرب: (لعن).
(5) البيت للشّمّاخ بن ضرار، من قصيدة يمدح بها عرابة بن أوس، ينظر: ديوان الشّمّاخ، ص: 320، و346، وابن منظور، لسان العرب: (لعن)، وابن دريد، جمهرة اللّغة: (علن)، وابن الأنباري، الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي، ص: 220، والبغدادي، الخزانة: 4/347، وابن يعيش، شرح المفصّل: 3/13.
(6) الحديث من لفظ التّرمذيّ عن معاذ بن جبل، قال: قالَ رَسولُ الله ﷺ: «اتَّقوا المَلاعِنَ الثَّلاثَةَ: البَرازَ في المَوارِدِ، وقارِعَةِ الطَّريقِ، والظِّلِّ»، حسن لغيره، وله شاهد من حديث معاذ بن جبل عند أبي داود، السنن، الحديث رقم: (26)، وابن ماجه، السنن، الحديث رقم: (328)، والحاكم، المستدرك: 1/167، والبيهقي، السنن: 1/97، وغيرهم.
(7) ابن منظور، لسان العرب: (لعن).
(8) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والسّمين الحلبي، عمدة الحفّاظ، والزَّبيديّ، تاج العروس: (بعد).
(9) الخليل بن أحمد، كتاب العين: (بعد).
(10) البيت منسوب لدريد بن الصّمّة، ذكره الخرائطيّ في اعتلال القلوب: 2/321، وابن دريد في جمهرة اللّغة: (بعد).
(11) الجوهريّ، الصّحاح، والزّبيديّ، تاج العروس: (بعد).

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

إظهار تتابعِ غضب الله على قوم عادٍ، ولعنتِه لهم وطردِهم من رحمته

يخبر الله تعالى في هذه الآيةِ أنَّ قومَ عادٍ لم يتركوا وراءهم في هذه الدُّنيا خيرًا يُذكرون به، ولم يخلِّفوا أثرًا طيِّبًا ينتفعُ به النّاس بعدَهم، وإنَّما الَّذي تركوه هو ما يشهد عليهم بالبغي والضَّلال والفساد في الأرض، حيث سوءُ سمعتهم في الدُّنيا وفي الآخرة؛ إذ لحِقت بهم لعنةٌ في هذه الدنيا، فكان كلُّ من عَلِم بحالهم ومن أدركَ آثارَهم، وكلُّ من بلَّغه الرسلُ من بعدهم خبرَهم يلعنونهم، وتلحقُهم هذه اللعنةُ أيضًا يوم القيامة حينما يلعنُ الأشهادُ الظالمين أمثالَهم، وما رَكِبوا في دنياهم من ضلالٍ، إذ فوَّتوا على أنفسهم مقامَ أهل الإيمان، هذا المقامُ الكريمُ وما ساقه إليهم إيمانُهم من نَعيمٍ ورِضوانٍ، فيجدون لذَّة إلى لذَّتهم، بينما هؤلاء البؤساء تتابعت عليهم لعنتان من الله، لعنةٌ لازمة لهم في الدنيا ولعنةٌ دائمة في الآخرة[1].

وترشدُ الآية الكريمةُ إلى أنَّ مَن أرادَ سلامةَ الدّارين والظَّفَر بقرّة العين، فليتمسَّكْ بالإيمان بالله، وبكلِّ ما أتى به الرسول الأمين عن رب العالمين، وليتَّبِعْ منهجَ الرَّشاد والسداد، وليتجنَّبْ كلَّ ما يحول بينه وبين الله، ويُغْفِلُه عن ذكر الله، وترشدُ إلى التخويف من الإبعاد عن الله وما يقرِّب إليه[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالةُ بناء فعل ﴿وَأُتْبِعُواْ﴾ للمفعول:

حلولُ الإبعاد والطردِ لهم عن رحمة الله بأيسر وجه تعظيم لحال اللعنةِ

آثر النَّظم الكريم في هذه الآية: ﴿وَأُتْبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ التَّعبيرَ بالفعل المبنيِّ للمجهول إيجازًا بالاستغناء عن الإخبار بما هو معلوم؛ إذ إنَّ من المعلوم أنَّ وقوع اللَّعنة على قوم عادٍ وتتابعها هو من الله تعالى، فالبناءُ للمجهول يدلُّ على أنَّ إهلاكهم وقع بأيسر

(1) المراغي، تفسير المراغي: 12/52، والخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 6/1160.
(2) ابن عجيبة، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: 2/539.

وجه؛ تعظيمًا لشأن لعنة الله تعالى[1]، فإنَّ عدم تعظيمها بذكر لفظ الجلالة يدلُّ على كفاية التَّعظيم، ولأنَّ المقصود من السّياق هو بيانُ حلول الإبعاد والطردِ عن رحمة الله بطريق العقوبة لهؤلاء القوم وملازمتها لهم في الدنيا والآخرة.

نكتة جعل اللَّعنة نائبَ فاعلٍ:

جاء التَّركيب في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةً﴾، بجعل اللَّعنة نائب فاعل دون أن يجعلها فاعلًا مع جواز ذلك، فلم يقل: (واتَّبعتهم لعنةٌ)؛ ليؤكِّد أنَّ اللَّعنة بفعل الله العليِّ القدير، وهذا أبلغ في تفخيم شأن اللَّعنة، بأنَّها كائنة من فعل الله تعالى، واللَّعنة أسوأ ما يسلَّط على الإنسان في الدُّنيا والآخرة؛ لأنَّ مناط الحفظ والإنعام، متَّصل مددًا وانتفاعًا بما يغمر الإنسان من رحمة وماينالاه من خير، وما يحيط به من ألطاف، فإذا طالته اللَّعنة؛ خرج من رحمة الله، ففقد ذلك كلَّه، فأصبح من الخاسرين في الدُّنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين.

التَّصريح بمصدريَّة اللَّعن تعظيم له، باعتبار مآلاته الوخيمة

سرُّ إيثار التَّعبير بـ ﴿وَأُتۡبِعُواْ﴾ و ﴿لَعۡنَةً﴾:

آثر النَّظم الجليل التَّعبيرَ بقوله جلَّ شأنه: ﴿وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةً﴾، دون أن يقول: (ولُعنوا)، بل عبَّر بأنَّها متابعة لهم، أي: "جُعلت اللَّعنةُ لازمةً لهم، وعبَّر عن ذلك بالتَّبعيَّة للمبالغة، فكأنَّها لا تفارقهم، وإن ذهبوا كلَّ مذهبٍ، بل تدور معهم حيثما داروا، ولوقوعه في صحبة اتِّباعهم رؤساءهم، يعني: أنَّهم لمّا اتَّبعوهم؛ أُتبعوا ذلك جزاءً لصنيعهم جزاءً وفاقًا"[2]، ومفاد قوله: "وأتبعوا، أي: اتَّبع سُقّاطُهُمْ أمر رؤسائِهم وكبرائهم، والمعنى: أنَّهم أطاعوهم فيما أمروهم به"[3].

لـزوم اللَّعنة لهم وتتابعها عليهم أبلغُ من نزولها مرَّة وانتهائها

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/316.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/220.
(3) أبو حيان، البحر المحيط: 6/171.

فائدةُ التقديم ﴿فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا﴾:

قدَّم النَّظمُ الكريم شبهَ الجملة ﴿فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا﴾، على المفعول به، في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةً﴾، فلم يقل: (وأتبعوا لعنةً في هذه الدُّنيا)؛ اهتمامًا بذكر زمان العقاب على العقاب، للدَّلالة على تعجيل العقاب في الدُّنيا، وفيه دلالةٌ بلاغية مهمَّة، وهي إبرازُ المكان الذي يُتْبَع فيه المخاطَبون باللعنة، وهو الدُّنيا، بحيثُ إنَّ اللعنةَ تلازمهم في حياتهم الدُّنيا، فلا يسلمون منها في أيِّ مكان منها، حتى مع رحابة الدُّنيا التي يظنّون أنَّها ملاذُهم ومكانُ راحتهم.

التأكيد على تعجيل العقاب في الدُّنيا، وعدم السلامة من اللَّعنةِ في أيِّ مكان مع رحابة الحياة

والعقاب العاجل في الدُّنيا، هو الذي يؤثِّر في الجيل الذي رآه رأي العين، وأبصر فداحته وبشاعته، وأيضًا تفهمه عقول المخاطَبين بالقصَّة، في زمان نزول الوحي على النَّبيِّ الخاتم ﷺ، ممَّن يؤثرون الحياة الدُّنيا، والذين يقولون سفهًا وجهلًا وسوء تقدير: ﴿إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ٣٧﴾ [المؤمنون: 37].

دلالة اسم الإشارة في ﴿هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا﴾:

آثر النَّظم الكريمُ، في قوله جل شأنه: ﴿وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةً وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾، الإشارة إلى الدُّنيا دون ذكرها مجرَّدة عن الإشارة؛ وذلك للتَّهوين والحطِّ من شأنها، فحقَّر الدُّنيا في هذه العبارة باسم الإشارة، بدلالة لفظ الدُّنيا الدّالِّ على الدُّنوِّ[1].

الإشارة إلى القريب تهوين لشأن الدُّنيا، واستصغار لها

بلاغةُ الحذف في: ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾:

حذف النَّظم الجليل في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةً وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾، فعل الإتّباع ومفعوله، والتَّقدير: (وأُتبعوا يومَ القيامة لعنةً)، فحُذف الفعل والمفعول في جانب حلول اللعنة على قوم هودٍ في الآخرة؛ لدلالة السّياق عليهما، "وللإيذان بكون كلٍّ من اللَّعنتين نوعًا

لكلّ دار لعنتها، وعدم التَّصريح بالثّانية، إيجازٌ للاكتفاءِ بذكر الأولى

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/316.

برأسه لم تُجمعا في قَرْنٍ واحد، بأن يقال: (وأتبعوا في هذه الدُّنيا، ويومَ القيامة لعنةً)، كما في قوله تعالى: ﴿*وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [الأعراف: 156]، إيذانًا باختلاف نوعَي الحسنتين"[1].

دلالةُ افتتاح جملة كفرهم بـ﴿أَلَآ﴾:

الافتتاح بالتَّنبيه، يشير إلى خطورة المضمون وحساسيَّته

في قوله جلَّ شأنه: ﴿أَلَآ إِنَّ عَادٗا كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ﴾ افتتح النَّظم الكريم جملةَ بيانِ كفرهم بحرف التَّنبيه (ألا)؛ تنبيهًا وتأكيدًا لمضمون الجملة، وكأنَّ الله تعالى - بهذا الأسلوب - يؤكِّد كفرَهم، أي: اعلموا، وتيقَّنوا أنَّ عادًا كفروا بربِّهم، ويريدُ أن يلْفت انتباه المخاطَب إلى خطورة ما فعلوا، وهذه الأداةُ لا تُذكَر إلّا بين يدَي كلامٍ يعظُم موقعُه، ويجلُّ خطبُه، فافتتح الخبر بها لتأكيد كفرهم[2].

علَّة التعدية في: ﴿كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ﴾:

تغليظ الكفر بإيقاعه على المحسن لهم، مخالفٌ لما يجب أن يكون

عدل النَّظم الكريم في قوله جلَّ شأنه: ﴿أَلَآ إِنَّ عَادٗا كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ﴾، عن تعدية فعل الكفر بحرف الجرِّ إلى تعديته بنفسه، فلم يقل: (كفروا بربِّهم)؛ فلم يجعل الفعلَ لازمًا، بل عدّاه إلى المفعول به بنفسه؛ تعظيمًا لطغيانهم، فجعل الفعلَ متسلِّطًا مباشرة على المفعول به ﴿رَبَّهُمۡۗ﴾؛ إيماء إلى أنَّهم "غطّوا جميع أنوار الظّاهر الَّذي لا يصحُّ أصلًا خفاؤُهُ؛ لأنَّه لا نعمة على مخلوق إلّا منه، فكان كفرهم أغلظَ الكفر[3].

نكتةُ تكرار ﴿أَلَآ﴾:

تكرار التَّنبيه، دليلٌ على خطورة المضمون وأهميَّته

في قوله جلَّ شأنه: ﴿أَلَآ إِنَّ عَادٗا كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّعَادٖ قَوۡمِ هُودٖ﴾، كرَّر النَّظم الكريم أداة التَّنبيه؛ تنبيهًا على عظم الأمر، وفداحة الخطب، وهذه الأداة تقال عند الأمور الجليلة[4]، فلمّا كان

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/220.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/316.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/316.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/317.

تواطؤ القوم على الكفر من عظائم الأمور، وما لحقه من الطَّرد واللَّعن لقوم بعامَّتهم؛ نبَّه على خطورة ذلك، بتكرار أداة التَّنبيه، تأكيدًا للتَّنبيه وتنويهًا بخطورة المضمون، و"تهويلًا لأمرهم، وتفظيعًا له، وبعثًا على الاعتبار بهم والحذر من مثل حالهم"[1].

دلالة الدُّعاء عليهم في ﴿بُعْدًا لِّعَادٍ﴾:

دعاءُ الله على الهالك بالهلاك؛ لمخالفته أمره، والتأكيد على استحقاقه ذلك

قوله جلَّ شأنه: ﴿بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾، دعاءٌ عليهم من الله تعالى بالهلاك، ومجيء الدُّعاء على القوم بعد هلاكهم إشارة إلى أنَّهم كانوا مستحقِّين للهلاك[2]، وذلك للدَّلالة على أنَّهم كانوا على منهج بيِّنِ الضَّلال، يستوجب أن يدعى عليهم، حتَّى بعد أن أُهلِكوا، وفي ذلك يقول الزَّمخشريُّ: "فإن قلت: بُعْدًا دعاء بالهلاك، فما معنى الدُّعاء به عليهم بعد هلاكهم؟ قلت: معناه الدَّلالة على أنَّهم كانوا مستأهلين له"[3]. وفيه سؤالان: كيف يدعو الله تعالى؟ ومن سيستجيب إذا كان الله هو الدّاعي؟ وذلك لبيان أنَّهم يُدعى عليهم لمخالفتهم الله تعالى، والآخر كيف يدعو عليهم مع كونهم هالكين؟ وذلك لبيان أنَّهم هلكوا استحقاقًا، وليس ظلمًا.

معنى اللّام في ﴿بُعْدًا لِّعَادٍ﴾:

الدعاء بالبعد استحقاق متعين للظالم الهالك

أدخل النَّظم الكريم اللّام على (عادٍ)، في قوله جلَّ شأنه: ﴿بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾، للدَّلالة على أنَّهم كانوا مستوجبين لما نزل بهم من الإبعادِ عن رحمة الله تعالى وثوابه، إلى ناره وعقابه، وأنَّه وقع عليهم على وجه الاستحقاق والتخصيص، وفيه مزيد بيان؛ فكأنَّه قيل: لِمن هذا البُعد؟ فقيل: لعادٍ[4].

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/171.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/317.
(3) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/405.
(4) إسماعيل حقّي، روح البيان: 4/152.

علّة تكرار (عاد) في الآية:

العاقل من اعتبر بغيره، والأحمق من كان هو ذاته عبرة لغيره

كرَّر النَّظم الجليل لفظ (عاد) في قوله جلَّ شأنه: ﴿أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّعَادٖ قَوۡمِ هُودٖ﴾؛ للمبالغة في تشنيع ما آلوا إليه، من صَغار ودَمار، فأعاد اللَّفظَ ذاته للمبالغة في تفظيع حالِهم، كما أنَّ فيه حثًّا على الاعتبار بقصَّتهم[1].

دلالة عطف البيان في ختام الآية:

تكرارُ الاسم، يزيد البيان إيضاحًا، ويفصح عن المقصود بالإخبار

قوله جلَّ شأنه: ﴿أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّعَادٖ قَوۡمِ هُودٖ﴾، كرَّر النَّظم الجليل خلاله ذكر (عادٍ)، لسببين: أوَّلهما لبيان أنَّها الأولى القديمة التي هي قوم هود، لا عاد إرم، والآخر: لبيان أنَّ الدُّعاءَ عليهم إنَّما كان بسبب صراعهم مع هود، ولهذا خصَّه بالذِّكر، فقوله تعالى: ﴿قَوۡمِ هُودٖ﴾ بيان لعاد، وفائدة ذكره الإيماءُ إلى أنَّ له أثرًا في الذَّمِّ بإعراضهم عن طاعة رسولهم، فيكونُ تعريضًا بالمشركين من العرب، وليس ذكره للاحتراز عن عادٍ أخرى، وهم إرمُ - كما جوَّزه صاحبُ الكشاف[2] - لأنَّه لا يُعرف في العرب عادٌ غير قوم هود، وهم إرم، قال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ ٧﴾ [الفجر: 6 - 7].

ويحتملُ أنَّ (قوم هود) وصف لـ (عاد) باعتبار ما في لفظ قوم من معنى الوصفيَّة[3]؛ لأنَّهما عادان: الأولى والآخرة، وفيه إيماء إلى أنَّ استحقاقهم للإبعاد، كان بسبب ما جرى له ﷺ معهم من الإنكار[4]، كما أنَّ فيه زيادة في التَّأكيد، للمبالغة في التَّنصيص، أو فيتحقَّق أنَّ الدُّعاء على عاد الذين هم قوم هود هذه، فلا تلتبس بغيرها[5].

---

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/220.

(2) الزمخشري، الكشاف: 2/406. وهو قول حكاه الزمخشري، تبع فيه الثعلبيَّ في كتابه عرائس المجالس، وضعَّفه الطيبي في حاشيته على الكشاف. ينظر: الطيبي، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب: 8/117.

(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/107.

(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/317، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/107.

(5) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/171.

التَّشابه اللَّفظيُّ بين آيتي هود (60)، و(99):

الإتيانُ بالصِّفة والموصوف على الأصل، والاكتفاء في الثّانيَةِ بالصِّفة عن الموصوف

ورد التَّشابهُ بين قوله تعالى: ﴿وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ عَادٗا كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّعَادٖ قَوۡمِ هُودٖ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِۦ لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ بِئۡسَ ٱلرِّفۡدُ ٱلۡمَرۡفُودُ ٩٩﴾ [هود: 99]، فقال في الأولى: ﴿فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا﴾، وفي الثّانية: ﴿فِي هَٰذِهِ﴾ من غير ذكر الدُّنيا، فللسّائل "أن يسأل عن حذف (الدُّنيا) من الآية الثّانية وإثباتها في الأولى؟ وهل كان يجوز في الاختيار عكس ذلك؟ والجواب: أنَّ الأولى أتى فيها بالموصوف والصِّفة جميعًا، وهو الأصل الأوَّل، ثمَّ الاكتفاء بالصِّفة عن الموصوف بعده لقيام الدّلالة على الموصوف، فيجوز لذلك حذفه، وإقامة الصِّفة مقامه، ولمّا جاءت الآيتان في سورة واحدة وُفّيت الأولى ما هو بها أولى من الإجراء على الأصل، والإتيان بالموصوف والوصف، فقال تعالى: ﴿فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا﴾، واكتفى في الثّانية لمّا قامت الدِّلالة على الموصوف بالصِّفة وحدها، فقال: ﴿وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِۦ لَعۡنَةٗ﴾"[1]. فحذف الدُّنيا من الموضع الثّاني لكونهما في سورة واحدة؛ اكتفاءً بما في الموضع الأوَّل[2]، ولذا فإنَّ قوله تعالى في موضع آخر: ﴿وَأَتۡبَعۡنَٰهُمۡ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلۡمَقۡبُوحِينَ ٤٢﴾ [القصص: 42]، جاء على الأصل، لكونه واردًا في سورة أخرى، ولم يسبق ما يمكن أن يعتمد بالإحالة عليه.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

(اللَّعن) و(السَّب):

اللَّعنة طرد من الخير بغضب، والسَّبُّ هو الشَّتمُ المسيءُ باللَّفظ لغيرك

اللَّعنة من (لَعَنَ)، وأصلها يَدُلُّ عَلَى إبْعادٍ وإطْرادٍ، ولَعَنَ اللّه الشَّيْطانَ: أبْعَدَهُ عَنِ الخَيْرِ والجَنَّةِ[3]. ويكون الطَّرد والإبعاد فيها على سبيل السُّخط، وذلك من اللّه تعالى في الآخرة عقوبة، وفي

(1) الإسكافيّ، درّة التّنزيل: 2/759.
(2) زكريا الأنصاريّ، فتح الرّحمن بكشف ما يلتبس في القرآن: 1/268.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (لعن).

الدُّنيا انقطاع من قبول رحمته وتوفيقه، ومن الإنسان دعاء على غيره، قال تعالى: ﴿أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٨﴾ [هود: 18][1]. فلعنة النّاس بينهم هي دعاء أمّا السَّبُّ؛ فأصْلُه القَطْعُ، ثُمَّ اشْتُقَّ منْهُ الشَّتْمُ، ومنْه السَّبُّ: الخِمارُ؛ لِأَنَّهُ مَقْطوعٌ منْ منْسَجِهِ، والسَّبُّ: الشَّتْمُ، ولا قَطيعَةَ أَقْطَعُ منَ الشَّتْم[2]. وهو: الشَّتم الوجيع، قال: ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ﴾ [الأنعام: 108][3]، والشَّتم: ذكر مساوئ الإنسان على وجه الازدراء مواجهة[4])، وقال المناويُّ: الشَّتمُ: وصفُ الآخرِ بما فيه نقصٌ وإزراء[5]، والسَّبُّ هو الإطناب في الشَّتم والإطالة فيهِ، واشتقاقه من السَّبِّ، وهي الشُّقة الطَّويلة، ويقال لَها: سبيبٌ أيْضًا[6]، والفرق بين السَّبِّ واللَّعن: أنَّ اللَّعن هو الدُّعاء على الرَّجل بالبُعدِ، وأمّا الشَّتمُ والسَّبُّ؛ فهو تقبيحُ الإنسان وتعييبُه وإزراؤُه، غير أنَّ اللَّعن أبلغُ في القُبح من السَّبِّ المطلق[7]، والمراد في الآية طردهم عن ساحة الخير، وإبعادهم سخطًا عليهم، فكان التَّعبير باللَّعن لا بالسَّبِّ.

(1) الرّاغب، المفردات: (لعن).
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (سبّ).
(3) الرّاغب، المفردات: (سبب).
(4) الجرجانيّ، التعريفات، ص: 163.
(5) المناويّ، التّوقيف على مهمّات التّعاريف، ص: 202.
(6) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 52.
(7) العسكريّ، الفروق اللغويّة،: 1/52، والعزّ بن عبد السّلام، قواعد الأحكام: 1/23، وعلويّ بن عبدالقادر السّقّاف، موقع موسوعة الدّرر السّنيّة على الشّابكة.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والعشرون، سورة هود من الآية 41 إلى الآية 114
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والعشرون، سورة هود من الآية 41 إلى الآية 114 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 21 ، 808 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك :978-9948-768-18-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 21 : المجلد الحادي والعشرون، سورة هود من الآية 41 إلى الآية 114.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي :978-9948-768-18-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9725944 بتاريخ 2024/02/06م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»